لولا وأثرها في بناء النص ((نماذج من القرآن الكريم))

أ. حســـــنة أبوبكر أحمد ـ كلية التربية العجيلات ـ جامعة الزاوية

المقدمـــــــــة :

الحمد الله ، حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه ، يوافي نعِمك ، ويكافئ مزيـــــده ، والصلاة والسّلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ..

أمّا بعد :

فاللغـــــة العربية تتمتع بخصوصيّة لغويّة تجعلها تتمّيز على اللغات العالميّة كلها ، فهي لغة القرآن الكريم الذي لم يأتِهِ الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه ، وتظهر هذه الخصوصيّة في سحر البيان ، ووضوح المفردات ، وتماسك النص ، ولاشك في أن حروف المعاني تلعب دورًا مهماً وفاعلاً في فهم النص ، ولا يمكن فهمه فهماً صحيحاً إلاّ بعد العلم بالوظيفية الدلالية التي تعنيها هذه الحروف ، لذا اخترت هذا البحث الموسوم بعنوان(لولا وأثرها في بناء النص ، نماذج من القرآن الكريم) .

خطـــــــــــــــة البحث :

واشتملت هذه الدراسة على تمهيد و مبحثين ، وخاتمة ، التمهيد يشمل التعريف بـ(لولا) لغة واصطلاحاً ، والمبحث الأول : لولا الامتناعية ويشمل: مفهوم لولا الامتناعية ،الاسم الواقع بعد لولا الامتناعية، الخبر بعد لولا الامتناعية ، الثاني من لولا الامتناعية حرف جر ، نماذج من لولا الامتناعية فى القَرآن الكريم . المبحث الثاني : لولا التحضَيضية : ويشـــمل : مفهوم لولا التحضَيضية ، المعاني التي تنفيذها لولا التحضيضية .

الخاتمة ، وتشمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

تمهيد :

أولا – تعريف (لولا) لغةً : لا تخرج مصادر اللغة العربيّة على أنّ ((لولا)) مركّبة من (لو) و(لا)أو بمعنى (إن) و(لو) يقول الخليل تـــــ(170 هـ) : " وأمّا لولا فجمعوا فيها بين " لو ولا" في معيين أحدهما : لو لم يكن ....و الأخر : هَلّا " [1]، أما الجوهري (ت 393 هـ) فيقول : "و أمّا (لولا)فمركّبة من معنى(إنْ) و(لو) وذلك أن (لولا) تمنع الثّاني من أجل وجود الأول ،تقول : لولا زيدٌ لهلكنا أي امتنع الهلاك من أجل وجود زيد هناك ، وقد تكون بمعنى هَلاّ"[2].

وذهب ابن منظور (ت 711هـ) :إلى "أن لولا كلمة مركبة من لو ولا ، ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره[3]" .

وتُعرّف أيضا بأنها :حرف شرط يدل على امتناع شيء لوجود غيره ،يدخل على جملتين الأولى :اسمية والأخرى فعلية لربط امتناع الثانية لوجود الأولى لولا العدل لفسدت الرعية [4]،كقوله- تعالى - : **(وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)**[5].

ثانياً – تعريف (لولا)اصطلاحا: تباينت الآراء بين النحاة في أصل (لولا) فيرى المبرد (ت 285 هـ): أنّها مركّبة من (لو) و(لا) فيقول : "ولولا إنما هي(لو) و(لا) جُعلِتَا شيئًا واحداً و أوقعتا على هذا المعنى" [6]، وهي حرف يوجب امتناع الفعل لوقوع اسم[7]فـ(لو)معناها امتناع الشيء لا متناع غيره ، ومعنى(لا) النفي والنهي[8].

وبعد أن تركّب وتوحّـــد جزءَاها صارا كلمة واحدة تؤدي معنى جديداً وتختص بأحكام جديدة لم تكن قبل التّركيب والضم وتسمى (أداة شـــرط امتناعي")؛ لأنها تنفرد بالدلالة على امتناع شيء بسبب وجود شيء آخر [9] وذهب غيره إلى أنها مركّبة من معنى (أن) و(لو) يقول الجوهري : "وأما (لولا) فمركّبة من (أن) و (لو) وذلك أن (لولا) يمنع الثاني من أجل وجود الأول، تقول : (لولا زيد لهلكنا) أي : امتنع وقوع الهلاك من أجل وجود زيد "[10].

وفي المعاني السابقة لم تخرج آراء النّحاة على ما ورد في المعاجم اللغوّية بأن لولا حرف شرط غير جازم مركّب من (لو) و(لا) أو من معنى (أن) و(لو) ، وتفيد امتناع الشيء لوجود غيره وهى من أدوات الشرط غير الجازمة.

المبحث الأول ــ لـــــولا الامتناعية :

هي حرف امتناع الشيء لوجود غيره أو لوجوب[11] وسماه الخليل (لو لم يكن) [12]فتدخل على جملتين اسمية ففعلية ،لربط امتناع الثانية بوجود الأولى[13] فهي حرف امتناع لوجوب ، وقيل: لوجود ، وذكر صاحب (رصف المباني) : الصحيح أن تفســـرها بحسب الجمل التي تدخل عليها ، فإن كانت الجملتان موجبتين فهي حرف امتناع لوجوب ، وإن كانتا منفيتين فهي حرف وجوب لامتناع ، وإن كانتا بالعكس فهي حرف امتناع لامتناع[14]ويشترط لكون (لولا) امتناعية لا بد من دخولها على جملة اسمية محذوف خبرها وجوباً ، وجملة (تكون) جواباً للجملة الأولى ويشترط في جملة الجواب أن تكون مصدّرة بفعل ماض لفظاً ومعنى ، أو معنى فقط – وهو الفعل المضارع المسبوق بالحرف (لم)فهي بمعنى الماضي لدخول (لم) عليه ؛ لأنها تفيد الجزم والنفي والقلب ، أي: إلى زمـــن الماضي ، وقبل دخول (لولا) لا يكون حينئذ

لإحدى الجملتين تعلق بالأخـــرى ، وعندما دخلت (لولا) ربطت إحداهما بالأخرى وصيرت الجملة الأولى شرطاً ، والجملة الثانية جواباً أو جزاء[15] ويجوز في الفعل الماضي الذي وقع جواباً أن يكون مقترنا باللام أو مجردًا ، سواء أكان مثبتاً أم منفياً (بما)دون سواها[16]. إلاّ أن الأكثر في جواب الشرط اقتران المثبت باللام وخلو المنفي منها[17] الاسم الواقع بعد (لولا) الامتناعية.

اختلف النحاة في عامل رفع الاسم الواقع بعد (لولا)الامتناعية فذهب الكوفيون إلى أنّ (لولا) ترفع الاسم بعدها؛ لأنها نائبة عن الفعل الذي لو أُظهِر لرفع الاسم ؛ لأن التقدير في قولك: (لولا زيدٌ لأكرمتك) أي : (لو) لو يمنعني زيد من إكرامك لأكرمتك إلاّ أنهم حذفوا الفعل تخفيفا ، وزادوا (لا) على (لو) فصار بمنزلة حرف واحدٍ [18]أي أنّ الاسم بعد (لولا) يرتفع بتقدير (فعل) نابت (لا) منابه [19] ويؤكد ذلك قول الكسائي : بأن "الاسم بعدها فاعل لفعل مقدر " [20]،وخالفه الفراء فيرى أن الاسم بعدها مرفوع بـ (لولا) نفسها [21].

أمّا البصريون فذهبوا إلى :"أن عامل رفع الاسم بعد لولا الامتناعية هو الابتداء وحجتهم بأن قالوا : إنما قلنا إنه يرتفع بالابتداء دون (لولا) وذلك ؛لأن الحرف إنما يعمل إذا كان مختصاً و(لولا) لا تختص بالاسم دون الفعل ،بل قد تدخل على الفعل كما تد خل على الاسم " [22].

كما يكون الاسم الواقع بعد لولا الامتناعية ضميرا يرتفع بالابتداء ، والخبر محذوف لنيابة الجواب منابه نحو قول تعالى (لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) [23]أي لولا أنتم موجودون . فيرتفع عند الكوفيين على تقدير فعل نابت (لا) منابه ، والتقدير في الآية : لو انعدمتم ، وقال صاحب (رصف المباني) : "وهذا هو الصحيح ؛ لأنه إذا زالت (لا) ولي (لو) الفعل ظاهرا أو مقدرا وإذا دخلت (لا) كان بعدها الاسم ، فهذا يدل على أن (لا) نائبة مناب الفعل[24] والضمير الذي يلي (لولا) فحقه أن يكون ضمير رفع كما في الآية السابقة ، غير أنه سمع قليلا لولاي، ولولاك ، ولولاه خلافا للمبرد[25]وقال الشلوبين : "اتقف أئمة البصريين والكوفيين كالخليل وسيبويه والكسائي والفراء على رواية لولاك عن العرب فإنكار المبرد لها هذيان "[26] .

وقد يأتي المبتدأ بعد (لولا) الامتناعية مصدرا صريحا كقوله تعالى :**(وَلَوْلَا دِفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِمَتْ صَوَامِعُ..)** [27] أو مصدرا مؤولا من الفعل الماضي، ومنه قول الله - تعالى - : **(لَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ....)** [28]،أو مصدرا مؤولا من أن والفعل المضارع كقوله - تعالى - : **(وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم**

مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ...) [29]، و يأتي مصدرا مؤولا من أن ومعموليها كما في قوله - تعالى - : **(فَلَوْلَا أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)** [30] ،كما يأتي غير مصدر نحو قوله - تعالى- : **(وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ)**[31] ، أو نكرة موصوفة كقوله تعالى : **(وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ** ...)[32]

الخبر بعد و ((لولا)) الامتناعية :

يغلب حذف الخبر بعد لولا الامتناعية ، وينسب إلى النحوبين القول بوجوب حذف الخبر إن دلّ عليه دليل ، وكان الخبر كونا مطلقا ، فإذا أريد الكون المقيد لم يجز أن تقول (لولا زيد قائم) ولا أن تحذفه ؛بل تجعل مصدره هو المبتدأ ، فتقول : لولا قيام زيد لأتيتك)أو تدخل أنْ المفتوحة على المبتدأ فتقول : لولا أنْ زيد قائم فتصيران أن وصلتها مبتدأ محذوف الخبر وجوبا ،أو مبتدأ لا خبر له ، أو فاعلا لفعل محذوف [33].

وذهب الرماني ، وابن الشجري والشلوبين إلى أن الخبر بعد (لولا)ليس بواجب الحذف على الإطلاق ، بل فصلوا القول فيه ، فإن كان كونا مطلقا غير مقيد وجب حذفه نحو : لولا زيد لأكرمتك؛ لأن تقديره موجود أو نحوه ، وإن كان مقيدا ولم يدل عليه دليل وجب إثباته ، نحو قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة ـــ رضي الله عنها – "لولا قومك حديثو عهد بكفر ليثبت الكعبة على قواعد إبراهيم " ، وإن كان مقيدا ودل عليه دليل جاز فيه الأمران (الحذف والإثبات) نحو : (لولا أنصار زيد لهلك) بمعنى نصروه ، فهذا يجوز إثباته ، لكونه مقيدا ويحوز حذفه لوجود الدليل عليه[34].

وزعم ابن الشجري أن من ذكر جواب (لولا) الامتناعية في نحو قوله تعالى : (وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ...) [35]، هذا غير متعين ، لجواز تعلق الظرف بالفضل[36] .

ويرى (ابن عطية)في إعراب نحو الآية السابقة: أن الخبر مضمر عند سيبويه ولا يجوز إظهاره للاستغناء عنه ، فلولا فضل الله عليكم تداركك[37]،ويؤكد (ابن عطية) اختياره هذا المذهب عند إعرابه لقوله تعالى :(لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ.....)[38]، فعنده كلمة (كتاب) مرفوعة بالابتداء ، الخبر محذوف وهكذا حال الاسم الذي يأتي بعد(لولا) وتقديره عند سيبويه لولا كتاب سابق من الله تدار ككم [39]،وذكر (ابن هشام): أنه قد لحن جماعة ممن أطلق وجوب حذف الخبر نحو قول المعري :

يذيب الرعب منه كل غضبٍ فلولا الغمدُ يمسكُهُ لسالا[40]

حيث ذكر (المعري) خبر المبتدأ الواقع بعد (لولا) الامتناعية (الغمد)؛ لأنه كون مقيد دلّ عليه دليل وهو الجملة الفعلية (يمسكه) وقد أوّله بعضهم على أن جملة

(يسمكه) قد وقعت في محل نصب على الحال ، وهو ما أنكره (الأخفش) الذي ذكر أن العرب لا يأتون بالحال بعد الاسم الواقع بعد (لولا) الامتناعية ، كما لا يأتون بالخبر ، وتأويله بعضهم أيضا على تقدير (أنْ)فقدروه بـ (ولولا الغمد أنْ يمكسه) ،فأعربوه بدلا بمعنى (لولا إمساكه) ، وجعل (ابن مالك) قول (المعري) فلولا الغمد يمسكه مما يجوز فيه الحذف والإثبات [41]أما جواب لولا الامتناعية : فإنه يجوز فيه الاقتران باللام نحو قوله تعالى : (**لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ**ۖ)[42] لأن الفعل ماضيا مثبتا ، وهو الغالب أو التجرد منها إذا كان الفعل منفيا ومنه قوله تعالى: **(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ**[43]، غير أنْ اقتران المثبت وخلو المنفي هو الأكثر استعمالا ، وقد يأتي جوابها مثبتا مجردا من اللام نحو قول الشاعر :

ولولا المشقة ساد الناس كلهمو الجودُ يفقرُ ، والإقدامُ قتّالُ [44]

أو منفيا (بما) ومقرونا (باللام)ومنه قول الشاعر :

لولا رجاء لقاء الظاعنين لما أبقيت نواهم لنا روحا ولا جسدا[45]

لولا الامتناعية : حرف جر .

يقول المرادي : " والثاني من حالي لولا الامتناعية أن تكون حرف جر وذلك إذا وليها الضمير المتصل الموضوع للنصب والجر كالياء والكاف" [46]، ومنه قول الشاعر يزيد بن الحكم :

وكم موطنٍ لولايَ طِحتَ كما هَوَى بأجرامه من قُلة النيق منهوي[47]

فلولا في هذا البيت حرف جر مذهب (سيبويه) ، والضمير (ياءالمتكلم) مجرور بها ؛لأن الياء وأخواتها لا يعرف وقوعها إلا في موضع نصب أو جر ،غير أن النصب ممتنع في (لولا ي)؛ لأن الياء لا تنصب بغير اسم إلا ومعها نون الوقاية وجوبا أو جوازا فيتعين كونها في موضع جر[48] وذهب (الأخفش) وبعض الكوفيين إلى أن (لولا) باقية على بابها من رفع ما بعدها وخرجوا بالصيغة من الرفع إلى الخفض كما خرجوا صيغة الخفض إلى الرفع في قولهم : مررت بك أنت ، حيث جعل الضمير(أنت) توكيدا لضمير الخفض الكاف وحجة سيبويه أن الخروج بالحرف أولى من الخروج بالاسم ؛لأن الحرف أضعف من الاسم [49]ويرى صاحب (رصف المباني) :أن الأظهر قول (الأخفش) لوجهين : أحدهما : إذا جعلنا (لولا) حرف جر فيجيء حرفان يعملان في معمول واحد ، وهذا غير وارد في كلام العرب ، والأخر : إذا جعلنا (لولا) حرف جر فيحتاج إلى ما يتعلق به ، إذا ليست زائدة كالباء في بحسبك

، وليس في الكلام ما تتعلق به ولا نقدر متعلقة به ، هذا مع أنها لا صدر الكلام فالحكم عليها بأنها حرف جر ضعيف[50].

نماذج (لولا)الامتناعية في القرآن الكريم :

قوله تعالى : **(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ)** [51] ذهب أكثر المفسرين إلى أن (يوسف)همّ بها حتى رأى برهانا قطعه عما همّ به ، فجواب (لولا) محذوف تقديره : لولا أن رأى برهان ربه لخالطها ،فحذف الجواب لدلالة (وهمّ بها) عليه كقولك :هممت بقتله لولا أني خفت الله أي ، لولا أنى خفت الله لقتلته [52].

وذهب قوم إلى أن المعنى في هذه الآية أن رأى برهان ربه لهمّ بها على أن جواب (لولا) متقدم عليها فقدِّم الجواب على شرطه للاهتمام به وهو قوله (وَهَمَّ بِهَا) فيجوز المراد من قوله همّ بها شارف أن يهم بها ، كما يقول الرجل: قتلته لو لم أخف الله يريد مشارفة القتل ، ومشافهته كأنه شرع فيه [53] ،قال أبو حاتم : "كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله :(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا) ، قال أبو عبيدة : هذا على التقديم والتأخير أي تقديم الجواب وتأخير الشرط ، كأنه قال : لقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها "[54].

وقد طعن (الطبري) في هذا التأويل "بأن جواب (لولا) لا يتقدم عليها ويدفع هذا الطعن أن أبا عبيدة لما قال ذلك علمنا أنه لا يرى منع تقديم جواب (لولا) على أنه قد يجعل المذكور قبل (لولا) الامتناعية دليلا للجواب ويجعل الجواب محذوفا لدلالة ما قبلها عليه ، ولا مفر من ذلك على كل تقدير فإن لولا وشرطها تقييد لقوله وهمّ بها على جميع التأويلات .فما يقدر من الجواب يقدر على جميع التأويلات [55]" ،والذي عليه المفسرون أنه همّ بها إلا أن الله تفضل بأن أراه البرهان ، فجواب (لولا) محذوف أيضا – لكن تقدره هنا لأمضى ما هم به ، والمعنى (لولا) أن رأى برهان ربه لأمضى ما هم به[56].

حذف جواب (لولا) الامتناعية في القرآن الكريم لأغراض منها :

1- التعظيم والتفخيم :للمحذوف نحو قوله تعالى: **(وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ)**[57]يقول الزمخشري :" وجواب (لولا) متروك وتركه دل على أمر عظيم لا يكتنه ،ورب مسكوت عنه أبلغ منطوق به"[58] وكذلك الزجاج يقول : "ههنا جواب (لولا) متروك والمعنى – الله أعلم – ولولا فضل الله عليكم لنال الكاذبَ لما ذكرنا عذاب عظيم "[59].

2- للمبالغة: كقوله تعالى:(**وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**) [60]،يقول الزمخشري : "وكرر المنة بترك المعالجة بالعقاب حاذفا جواب (لولا) كما حذفه ثمة ، وفي هذا التكرير مع الحذف مبالغة عظيمة ، وكذلك في التواب الرؤف والرحيم "[61].

3- للعلم به :كقوله تعالى : (**وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ**[62] يقول ا(لفراء) :"متروك الجواب؛ لأنه معلوم المعنى وكذلك كل ما كان معلوم الجواب فإن العرب لتكتفي بترك جوابه " [63]

4- للدلالة عليه : ومنه قوله تعالى : (**وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ..**) [64]يقول الز مخشري : وحذف جواب (لولا) لدلالة الكلام عليه[65].

المبحث الثاني ــ (لـــــولا) التحضيضية :

هي حرف مركب [66] بمعنى : هَلاّ ، تفيد التحضيض الذي هـــو :الحث على فعل الشي ء أو الطلب بحَثٍّ وإزعـــاج على فعل أمـــر أو تركه [67] ، وإذا زال عنها هذا التركيب تغيّرت معانيها وأحكامها [68] ولها صدر الكلام ، فهي تلزم الفعل لفظا أو تقديرا [69] ولا تدخل إلا على الجملة الفعلية ، فلا يليها إلا فعل ماض أو مستقبل ، فإذا وليها الماضي كانت لوما وتوبيخا فيما تركه المخاطب نحو: (لولا فعلتَ) ، إذا وليها المضارع كانت تخضيضا فهي في المضارع بمعنى الأمر نحو: (لولا تفعل) ، أي :افعل إلا أنها تستعمل كثيرا في لوم المخاطب على أنه ترك في الماضي شيئا مرغوبا فيه ، يمكنه تداركه في المستقبل فكأنها من حيث المعنى التحضيض على فعل مثل ما فات [70]وهى أحد أحرف التحضيض الأربعة :(هَلاّ ،ألا ، ولولا لوما)[71]وجرت مجرى حروف الشرط في اقتضائها الأفعال فلا يقع بعدها مبتدأ ولا غيره من الأسماء [72] فهي تختص بالدخول على الأفعال (الماضي والمضارع).

المعاني التي تفيدها (لولا) التحضيضية :

تفيد (لولا) التحضيضية معاني كثيرة منها :

1- **التحضيض** : وهو الأمر والطلب بحث وإزعاج [73] فهي تختص بالدخول على الفعل المضارع ، وما في تأويله ، ولا يليها إلا الفعل ظاهرا أو مقدرا نحو قوله عز وجل :(لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [74]أي استغفروه فجاءت (لولا) في هذه الآية بمعنى التحضيض ، أي :(هَلاّ سألتم) الله تعالى المغفرة من ذونوبكم .....وهي حكاية صالح ــ عليه السلام ــ لقومه حينما انقسموا بين مؤمن وكافر [75]

فالزم الطلب هنا القوة والحرص ،وغالبا ما تظهر قوة التحضيض في اختيار الكلمات الجزلة والقوية كما تظهر – أيضا ــ في نبرة الصوت[76]ومنه أيضا قوله تعالى :(لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا ءَايَةٌ .....)[77]ففي تفسير هذه الآية يفرق (القرطبي): بين (لولا) الامتناعية و(لولا) التحضيضية بقوله :" إن لولا بمعنى هلا(التحفضيض) ، كما قال الأشهب بن رميلة :

تَعُدونَ عَقْر النيب أفضل مجدكم بني ضوطري لولا الكمي المقنعا

وليست هذه (لـــولا) التي تعطي منع الشيء لوجود غيره والفرق بينهما عند علماء اللسان أن لولا بمعنى التحضيض ، ولايليها إلا الفعل مظهرا أو مقدرا ،والتي للامتناع يليها الابتداء ، وجرت العادة بحذف الخبر ، ومعنى الكلام هلا يكلمنا الله بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - أو يأتينا بأبه تكون علامة على نبوته ..."[78] فـ(لولا) في الآية حرف تحضيض ، وشأن التحضيض أن يواجه به المحضض ؛ لأن التحضيض من الطلب وشأن الطلب أن يواجه به المطلوب[79] ، ومجيء المضارع بعد (لولا) يعني أن الطلب يكون بحثٍّ وحرصٍ .

2- **العـرض** : وهو الطلب بلين وتأدب [80]وقد يليها الفعل الماضي إلا أن هنا في تأويل المستقبل ، وكان المخاطِب أدنى من المخاطَب في المقام، ومن ذلك قوله تعالى : **(وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)** [81]وردت (لولا) في هذه الآية للعرض ، حيث دخلت على الفعل الماضي المؤول بالمضارع ؛لأن المطلوب مستقبل والطلب يقتضي الاستقبال الذي هو مدلول المضارع[82]،والمعنى (هَلا)تؤخرني إلى وقت قريب إذ لا معنى لطلب الماضي هنا الذي لا يكمن تداركه في المستقبل وقد فات آوانه[83]، إلا أن الفعل (أخرتني ماضي في تأويل مستقبل كالذي يكون بعد حرف الشرط؛ لأنه في معناه ، وهنا يدل على أن (أخرتني) بمعنى المستقبل كون جوابه مستقلا أيضا وهو (فأصدق) والتقدير : (أن أخرتني أصدق) فالفعل مضارع منصوب بأن مضمر وجوبا بعد فاء السببية أما الفعل المضارع (أكن) فمجزوم على اعتبار عدم وجود فاء السببية ، وأنه مجزوم بالعطف على موضع (فأصدق) في جواب الطلب ، وإن الكلام يتطلب شرطا مقدرا أي أن تؤخرني أكن ...[84] ويقول(ابن عاشور):" ويستعمل لولا للعرض أيضا وحق الفعل بعدها أن يكون مضارعا ، وإنما جاء ماضيا ، لتأكيد إيقاعه في دعاء الداعي حتى كأنه قد تحقق ..." [85]،والتحضيض

والعرض بمعنى الطلب إلا أن التحضيض فيه الطلب بحثٍ وإزعاجٍ والعرض الطلب فيه بلين وتأدب ولما اشتركا جعلا معنى ثانيا لـ(لولا)[86]

3- **التوبيخ والتنديم واللوم** :على ما كان يجب أن يفعله المخاطِب قبل أن يطلب منه ، أي اللوم على ترك الفعل [87]فهي حرف غير عامل [88]يجب أن يليها الفعل الماضي لفظا ومعنى معا،ظاهرا أو مقدرا[89] ؛لأن التوبيخ يقتضى وقوعه – في زمن الماضي ـــ ما يوبخ عليه من الأفعال الشنيعة[90]ومنه قوله تعالى : **(لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۖ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِالشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۖ)** [91]فـ (لولا) في الآية داخلة على الفعل الماضي لفظ ومعنى ومتى كان ذلك ؟ فهي للتوبيخ ، وهو ما يدل عليه المعنى في هذه الآية فقد استعملت (لولا)هاهنا للتوبيخ يقول القرطبي : "هذا توبيخ لأهل الإفك ، و(لولا) بمعنى هَلاّ أي هَلاّ جاءوا بأربعة شهداء على ما زعموا من الافتراء"[92] فهم لا يستطيعون الإتيان بأربعة شهود، لذا كان ختام الآية **(ۖ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِالشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۖ)**أفادت (لولا) فى هذه الآية التوبيخ والتنديم على ما ارتكبه أهل الإفك ومنه أيضا قوله تعالى :**(فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ...)**[93] يقول (ابن كثير)في تفسير هذه الآية إن (لولا حرف يرد لمعان منها التوبيخ وهو ها هنا مستعمل في لازم التوبيخ كناية عن التغليط ؛ لأن أهل القرى قد نقضوا وذلك أن أصل معنى (لولا) التحضيض وهو طلب الفعل بحث فإذا دخلت على فعل قد فات وقوعه كانت مستعملة في التغليط والتنديم والتوبيخ على تفويته ويكون ما بعدها في الاستعمال فعل مضى [94] .

4- الاستفهام : أي أن تكون (لولا) بمعنى (هل) ومنه قوله تعالى :**(فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ [95] ...)** فيذكر (ابن كثير): أن (لولا) هنا بمعنى أي فهل نصروهم عند احتياجهم إليه [96]ومنه أيضا قوله تعالى :(لَوْلَا أَخَّرْتَنِى إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ)[97] وكذلك قوله تعالى: (لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ)[98] ذهب الهروي تـــ(415هـ): إلى (لولا)في الآيتين الآخرتين تفيد معنى الاستفهام ، إلا أن (ابن هشام) :رأى أن أكثر النحويين لم يذكروا هذا الوجه ، وجعل (لولا)في آية المنافقين بمعنى هَلاّ للعرض ، بينما جعل معنى (لولا) بمعنى التوبيخ كقوله تعالى : (لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۖ....) [99] ، و(لولا) الثانية تحضيضية[100] وإلى مثله ذهب (السيوطي) إلا أنه يرى خلو لولا من التبويخ [101]في قوله تعالى :(لَوْلَا أَخَّرْتَنِى إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ) [102]ومنه قوله تعالى :(فَلَوْلَا إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ) [103]يقول (الطبري) :"معنى (لولا) في هذا الموضع (فهلا) والعرب إذا أولت (لولا) اسما مرفوعا جعلت ما بعدها

خبرا وتلقتها بالأمر...وإذا أولتها فعلا أولم تولها اسما جعلوها استفهاما ... فتأويل الكلام إذا جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذبة رسلها الذين لم يتضرعوا عندما أخذنا هم بالبأساء والضراء ... "[104].

5- **النفي** : أنْ تكون (لولا) نافية بمنزله (لم) ذكره (الهروي)، وجعل منه قوله تعالى :(فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ ...) [105]، أي فما آمنت قرية عند مجيء العذاب فنفعها إيمانه[106]، ولم يثيب على (ابن هشام) ذلك بل أظهر أن معنى (لولا) في هذه الآية التوبيخ، أي فهلا كانت قرية واحدة من القرى المهكلة تابت عن الكفر قبل مجيء العذاب فننفعها ذلك ، ونسب ذلك إلى جمهور النحويين منهم:الأخفش والكسائي والفراء وعلى بن عيسي،والنحاس[107] .

وخلاف هذا نقل عن (ابن عقيل)، أنه زعم علي بن عيسي والنحاس أن (لولا) تأتي بمعنى ما النافية وحملا عليه قوله تعالى : (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ..)[108]،أي ما كانت [109] وذهب (السيوطي) إلى أنه في هذا المعنى يلزم النفي؛ لأن التوبيخ يقضي عدم الوقوع[110]، ويرى (الزمخشري) :جواز أن تفيد (لولا) في هذه الآية النفي مع كون الاستثناء متصلاً فقال : "ويجوز أن يكون متصلا والجملة في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى المهالكة إلا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء "[111].

وقال (ابن هشام): "قد يتوهم أن الزمخشري قائل بأنها للنفي ولعله إنما أراد ما ذكرنا ، ولهذا قال : الجملة في معنى ولم يقل لولا للنفي "[112] وذهب بعض المفسرين إلى إن (لولا)في الآية السابقة تفيد الاستفهام لو كان الاستثناء متصلا ، مكان المعنى : فهل آمنت قرية[113].

6- **التعجيز** : تفيد (لولا) التعجيز: وذلك إذا وليها الفعل المضارع وكان الخطاب بين متناظرين متماثلين ومنه قوله تعالى :**(هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۢ بَيِّنٍۖ ....)** [114]يقول (القرطبي) : "فقولهم (لولا) تحضيض بمعنى التعجيز ، وإذا لم يمكنهم ذلك لم يجب أن يلتفت إلى د عواهم "[115] ، فالتحضيض في الآية على ما لا يمكن فعله فهو تعجيز[116] وتفيد لولا التعجيز أيضا إذا وليها الفعل الماضي نحو قوله تعالى : **(وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ....)**[117]قال (ابن عاشور) : "لولا هنا حرف تحضيض بمعنى هَلاّ والتحضيض هنا لقطع الخصم وتعجيزه" [118]ومنه أيضا قوله تعالى :**(لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ)**[119].

الخاتمة:

وبعد الدراسة والبحث في (لولا) من خلال كتب النحو واللغة وكتب التفاسير توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها :

1- (لولا) إما مركبة من حرفين (لو) ، و(لا) فـ (لو) معناها حرف امتناع الشيء لامتناع غيره ، ؤ (لا) فهي حرف للنفي ، والنهي ، وبعد أن تركبت صارت كلمة واحدة تفيد امتناع شيء بسبب وجود شيء آخر، وأما فهي كلمة واحدة بسيطة غير مركبة .

2- تنقسم (لولا) إلى امتناعية ، وتحضيضية أو حرف جر كما يراه سيبويه .

3- تختص (لولا) الامتناعية بالدخول على جملتين اسميه ففعلية فهي التي تحتاج إلى جواب ويكون خبر الجملة الاسمية محذوفاً وجوباً أما ،(لولا) التحضيضية فهي التي تختص بالدخول على الجملة الفعلية ، ولا تحتاج إلى جواب .

4 – تلعب (لولا) دورا مهماً في تحديد معنى النص من خلال ما تختص بالدخول عليه فتفيد (لولا) التحضيضية الداخلة على الجملة الفعلية معاني كثيرة منها التخضيض ، والعرض والتبويخ والاستفهام والتعجيز والنفي ،وغيرها من المعاني يمكن استخلاصها من كتب تفاسير القرآن الكريم كما يفيد حذف جواب(لولا) الامتناعية عدّة معان منها: المبالغة،لعلم به ،التعظيم والتفخيم للمحذوف ، أو لدلالة الكلام عليه .

5- تعمل (لولا) على ربط جملة الشرط بجملة الجواب .

الهوامـــــــــــــش :

1- معجم العين ،الخليل بن أحمد الفراهيدي،تحقيق مهدى المخزومي وإبراهيم السامرائي،دار مكتبة الهلال8/350.

2- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق ،أحمد عبد الغفار عطار،دار الملايين،ط4-1987م ،6/.2554

3-لسان العرب لابن منظور،دار الفكر بيروت لبنان،ط1 -2008م،6/.697

4- معجم العربية المعاصرة،أحمد المختار عمر وآخرون ،عالم الكتب ط2008،1م.

5-سورة الصافات الآية .57

6-المقتضب،أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق:حسن حمد،مراجعة الدكتور اميل يعقوب، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1999،1م،3/.64

7- ينظر:المصدر السابق الموضع نفسه.

8-ينظر: الشرح المفصل،لابن يعيش ،مكتبة المتنبي القاهرة،8/144 .

9- ينظر: النحو الوافى عباس حسن،دار المعارف القاهرة،ط4،13/.513،512

10- الصحاح، الجوهري:6/.2554

11- شرح المفصل:8/.145
12-العين للفراهيدى:8/.351
13-ينظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب،لابن هشام الانصاري، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد،دار الشام للثرات:1/.272
14-ينظر: رصف المباني فى شرح حروف المعانى ،أحمد بن عبد النور المالقي،تحقيق:محمد الخراط،مجمع اللغة العربية دمشق،.293
15-ينظر :شرح المفصل:145/8،النحو الوافى:4/.515
16-ينظر: النحو الوافى،4/.515
17-ينظر:الشرح المفصل:145/8،النحو الوافى :4/.615
18-الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ،للأنباري،قدم له ووضع هوامشه وفهارسه:حسن حمد بإشراف أميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط2007،م2،1/.74
19- ينظر :الشرح المفصل:8/.146
20-شرح الرضي على الكافية:تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر،منشورات جامعة قاريونس بنغازي ط1996،م2،1/274..
21 ـ المصدر السابق .
22-الإنصاف فى مسائل الخلاف:1/.77
23-سورة سبأ،الأية:.31
24- الجنى الداني في حروف المعاني،ابو محمد بن بدر الدين حسن بن قاسم المرادي ت(749هـ)،تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد قديم فاصل،دار الكتب العلمية بيروت،ط1992،م1،.602
25-ينظر:المقتضب:3/.73
26-غنية الاريب عن شروح مغنى اللبيب،للأنطاكي(ت1100هـ)دراسة وتحقيق:الأستاذ حسين صالح الدبوس وآخرون،عالم الكتب الحديث:3/.6
27-سورة الحج من الآية:.38
28-سورة الحشر من الآية :.3
29-سورة القصص من الآية:.47
30-سورة الصافات الآيتين:143-.144
31- سورة هود من الآية:.91
32- سورة العنكبوت من الآية :.53
33-ينظر :غنية الأريب:3/.2،3
34-ينظر:الجنى الدانى فى حروف المعانى:1/.102
35- سورة النساء من الآية:.82
36-ينظر :مغنى اللبيب 273،وغنية الاريب:3/.3
37-ينظر المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ،لابى محمد عبد الحق بن عطية ،تحقيق:عبد السلام الشامي محمد،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،ط1998،م1،1/.159
38-سورة الأنفال من الآية:.69
39-ينظر :المحرر الوجيز:2/.554
40-البيت للمعرى،فى شرح سقط الزند:1/104،ومن شواهد المغنى .273
41-ينظر:مغنى اللبيب:273،غنية الاريب:3/4-5-.6
42-سورة سبأ من الآية:.31
43-سورة النور الآية:.21
44-النحو الوافى -4/.516
45-المصدر السابق ،الموضع نفسة.
46-الجنى الدانى:.295

47-كتاب سيبويه،تحقيق وشرح :عبد السلام محمد هارون،دار الجيل بيروت ط1 2/.374
48-ينظر: الجنى الداني.603
49-ينظر:غنية الأريب:6/3،مغنى اللبيب:274،الكتاب :2/.373
50-ينظر:الجنى الدانى:.604
51-سورة يوسف من الآية:.24
52- ينظر :الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري،دار المعرفة بيروت،بلا تاريخ:698/2،معانى القرآن وإعرابه دار الحديث القاهرة،بلا ط،2004م:82./3
53-ينظر: معاني القران وإعرابه للزجاج:82/3 والكشاف للزمخشري2/.699
54-تفسير التحرير والتنوين :محمد الطاهر بن عاشور،الدار التونسية للنشر:1984م،12/.253
55-ينظر:المصدر السابق الموضع نفسه.
56-ينظر: معانى القرآن للزجاج:3/.82
57- سورة النور الآية:.10
58-الكشاف،للزمخشري:3/.1027
59-معانى القرآن: 27/4 .
60-سورة النور ،الآية:.20
61- الكشاف:3/.1030
62- سورة النورمن الآية :.20
63-كتاب معانى القرآن لأبى الحسن سعد بن مسعده الأخفش الأوسط(ت215ھ) تحقيق :دكتورة هدى محمد قراعة،ط1مطبعة المدني القاهرة سنة 1990م،2/.247
64-سورة الفتح من الآية:.25
65-الكشاف الزمخشري:4/.1515
66- حرف مركب من (لو ،لا) كما يراها ابن يعيش ينظر: شرح المفصل144/8،وهى حرف غير مركب (بسيط)كما يرها ابن القواس ينظر همع الهوامع فى جمع الجوامع ،سيوطي(ت911ھ)،تحقيق:أحمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط2006،2م مج2/.477
67-ينظر :المصدر السابق الموضوع نفسه.
68-ينظر:النحو الوافى،4/.512
69-شرح الرضي على الكافية:3/.442
70-ينظر:كتاب شرح المغنى فى النحو،تحقيق عبد القادر الهيتي منشورات جامعة قاريونس بنغازي دار الكتب العلمية ط1998،1م: .257،258
71- ينظر: شرح المفصل:8/.144
72-المصدر السابق الموضع نفسه.
73-ينظر:همع الهوامع مج2/477، والمفصل:8/.144
74-سورة النمل من الآية:.48
75-ينظر:غنية الأريب:3/.7
76- ينظر:النحو الوافى،4/.512
77-سورة البقرة من الآية:.118
78-الجامع لأحكام القران الكرين،للقرطبي:دار الشام للثرات،بيروت لبنان ط2،مج1/.9291
79-التحرير والتنوين،لابن عاشور:1/.230
80-مغنى اللبيب:2/.274
81-سورة المنافقون الآية:.10
82- ينظر: النحو الوافى: 4/.369
83-ينظر:شرح الرضى،4/.443

84-ينظر شرح المفصل،144/8 ،النحو الوافى:4/.369
85-التحرير والتنوير:28/.253
86-ينظر:غنية الأريب :3/.7
87-ينظر:شرح الرضى،442/3،شرح المفصل:8/.144
88-ينظر:معجم العربيه المعاصرة أحمد المختار عمر،وآخرون.
89-ينظر:شرح المفصل:144/8النحو الوافى.
90-ينظر:غنية الأريب:3/.7
91-سورة النور الآية:.13
92- الجامع لأحكام القرآن.
93-سورة يونس من الآية:.98
94-التحرير والتنوير:11/.289
95-سورة الأحقاف من الآية:.27
96-تفسير القرآن العظيم،ابن كثير دار الأندلس بيروت لبنان،ط1984،5م،6/.260
97-سورة المنافقون من الآية:.10
98-سورة الأنعام من الآية:.9
99-سورة النور من الآية:.13
100-ينظر:المغنى اللبيب:274/1 وغنية الأريب:3/.9
101-ينظر همع الهوامع:.277
102-سورة المنافقون من الآية:.10
103- سورة الأنعام من الآية:.43
104- الجامع للبيان،للطبرى:11/.356
105-سورة يونس من الآية:.98
106-ينظر:البرهان فى علوم القرآن للسيوطى:2/.285
107-ينظر:غنية الأريب10/3،مغنى اللبيب:.275
108-سورة يونس من الآية:.98
109-غنية الأريب:3/.10
110-ينظر:هامع الهوامع مج2/.277
111-الكشاف الزمخشري2/.371
112-مغنى اللبيب275 .
113- ينظر:البرهان فى علوم القرآن:4/.240
114-سورة الكهف من الآية:.15
114-الجامع لأحكام القرآن 13/.225
116-ينظر:المحرر الوجيز 3/.501
117-سورة الأنعام من الآية:.38
118-التحرير والتنوير لابن عاشور:7/.209
119-سورة الأنعام من الآية:9.